

النهاية في غريب الأثر

{ سبح } ... قد تكرر في الحديث ذكرُ [التسبيح] على اختلافِ تصرُّف اللَّفظة .
وأصلُ التَّسْبِيحِ : التَّنْزِيهِ والتَّكْدِيس والتَّبرئة من الذَّنَقَانِص ثم استُعْمِلَ في
مواضعَ تَقَرُّبٍ منه اتِّسَاعاً . يُقَالُ سَبَّحْتَهُ تَسْبِيحاً وَسُبْحَانَا فَمَعْنَى سُبْحَانَ
اللَّهِ : تَنْزِيهِ اللَّهِ وَهُوَ نَصَبٌ عَلَى الْمَصْدَرِ بِفِعْلِ مُضْمَرٍ كَأَنَّهُ قَالَ : أُبَرِّئُ اللَّهَ
مِنَ السَّوْءِ بِرَأْيِهِ . وَقِيلَ مَعْنَاهُ : التَّسَرُّعُ إِلَيْهِ وَالْخِفَّةُ فِي طَاعَتِهِ . وَقِيلَ مَعْنَاهُ
: السَّرُّعَةُ إِلَى هَذِهِ اللَّفْظَةِ . وَقَدْ يُطْلَقُ التَّسْبِيحُ عَلَى غَيْرِهِ مِنْ أَنْوَاعِ الذِّكْرِ
مَجَازاً كَالْتَّحْمِيدِ وَالتَّحْمِيدِ وَغَيْرِهِمَا . وَقَدْ يُطْلَقُ عَلَى صَلَاةِ التَّطَوُّعِ وَالنَّافِلَةِ .
وَيُقَالُ أَيْضاً لِلذِّكْرِ وَلِلصَّلَاةِ النَّافِلَةِ : سُبْحَةً . يُقَالُ : قَضَيْتُ سُبْحَتِي .
وَالسُّبْحَةُ مِنَ التَّسْبِيحِ كَالسُّخْرَةِ مِنَ التَّسْخِيرِ . وَإِنَّمَا خُصَّتِ النَّافِلَةُ بِالسُّبْحَةِ
وَإِنْ شَارَكَتْهَا الْفَرِيضَةُ فِي مَعْنَى التَّسْبِيحِ لِأَنَّ التَّسْبِيحَاتِ فِي الْفَرَائِضِ نَوَافِلٌ فَقِيلَ
لِلصَّلَاةِ النَّافِلَةِ سُبْحَةً لِأَنَّهَا نَافِلَةٌ كَالْتَّسْبِيحَاتِ وَالْأَذْكَارِ فِي أَنَّهَا غَيْرُ وَاجِبَةٍ .
وقد تكرر ذكر السبحة في الحديث كثيراً .

(هـ) فمنها الحديث [اجْعَلُوا صَلَاتَكُمْ مَعَهُمْ سُبْحَةً] أي نافلةً .
- ومنها الحديث [كنا إذا نزلنا مَنَزَلاً لا نُسَبِّحُ حَتَّى تُحَلَّ الرَّحَالُ] أراد صلاةَ
الضُّحَى يَعْنِي أَنَّهُمْ كَانُوا مَعَ اهْتِمَامِهِمْ بِالصَّلَاةِ لَا يُبَاشِرُونَهَا حَتَّى يَحْطُطُوا
الرَّحَالَ وَيُرِيحُوا الْجِمَالَ رَفَقاً بِهَا وَإِحْسَاناً .
(س) وفي حديث الدعاء [سُبِّحُوحٌ قُدُّوسٌ] يُرْوَوْنَ بِإِنِّ بِالضَّمِّ وَالْفَتْحِ وَالْفَتْحِ أَقْبَسُ
وَالضَّمُّ أَكْثَرُ اسْتِعْمَالاً وَهُوَ مِنْ أَبْنِيَةِ الْمُبَالَغَةِ . وَالْمُرَادُ بِهِمَا التَّنْزِيهِ .
- وفي حديث الوضوء [فَأَدْخِلْ أَصْبُعَيْهِ السَّبَّاحَتَيْنِ فِي أُذُنِهِ] السَّبَّاحَةُ
وَالْمُسَبِّحَةُ : الإِصْبَعُ الَّتِي تَلَى الْإِبْهَامَ سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا يُشَارُ بِهَا عِنْدَ التَّسْبِيحِ .

(هـ) وفيه [أن جبريلَ عليه السلام قال : لِلَّهِ دُونَ الْعَرْشِ سَبْعُونَ حِجَاباً] لَوْ
دَنَوْنَا مِنْ أَحَدِهَا لَأَحْرَقَتْنَا سُبُحَاتُ وَجْهِ رَبِّنَا] .
(س) وفي حديث آخر [حجابُ النورِ أو النارِ لو كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتِ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ
كُلَّ شَيْءٍ أَدْرَكَهُ بَصَرُهُ] سُبُحَاتُ الْوَجْهِ : مُحَاسِنُهُ لِأَنَّكَ إِذَا رَأَيْتَ الْحَسَنَ الْوَجْهَ .
قُلْتَ : سُبْحَانَ اللَّهِ . وَقِيلَ مَعْنَاهُ تَنْزِيهِهُ لَهُ : أَيِ سُبْحَانَ وَجْهِهِ . وَقِيلَ : إِنْ
سُبُحَاتُ وَجْهِهِ كَلَامٌ مُعْتَرِضٌ بَيْنَ الْفِعْلِ وَالْمَفْعُولِ : أَيِ لَوْ كَشَفَهَا لَأَحْرَقَتِ كُلَّ شَيْءٍ

أَدْرَكَه بِصَرِّهِ فَكَأَنَّهُ قَالَ : لِأَحْرَقْتُ سُبُوحَاتِ اللَّهِ كُلَّ شَيْءٍ أَبْصَرَهُ كَمَا تَقُولُ : لَوْ دَخَلَ
الْمَلِكُ الْبَلَدَ لَقَتَلَ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ كُلٍِّّ مِنْ فِيهِ . وَأَقْرَبُ مِنْ هَذَا كُلُّهُ أَنْ الْمَعْنَى :
لَوْ انْكَشَفَ مِنْ أَنْوَارِ اللَّهِ الَّتِي تَحْتَاجُ الْعِبَادَةَ عَنْهُ شَيْءٌ لِأَهْلِكَ كُلٍِّّ مِنْ وَقَعَ عَلَيْهِ
ذَلِكَ الذُّورُ كَمَا خَرَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعْرِقًا وَتَقَطَّعَ الْجَبَلُ دُكَّا لَمَّا تَجَلَّى
اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

(س) وَفِي حَدِيثِ الْمَقْدَادِ [أَنَّهُ كَانَ يَوْمَ بَدْرٍ عَلَى فَرَسٍ يُقَالُ لَهُ سَبِيحَةٌ] هُوَ مِنْ
قَوْلِهِمْ فَرَسٌ سَابِحٌ إِذَا كَانَ حَسَنَ مَدٍّ الْيَدَيْنِ فِي الْجَرِيِّ